บทความทางวิชาการ

الدعوة إلى الخير كما صورها القرآن الكريم

محمد لازم لاوي*

ملخص البحث

يعالج هذا البحث قضية الدعوة إلى الخير لما لها مقام عظيم من مقامات الإيمان والعمل الصالح، وشرف عظيم لصاحبها. ويهدف إلى معرفة مفهوم الدعوة في الإصطلاح الإسلامي ومفهوم الخير كما صوره القرآن الكريم وواجبنا نحو الدعوة إلى الخير. وقد انتهج الباحث في هذا البحث النهج المكتبي واعتمد في تحرير هذا البحث على العون من الله ثم الاطلاع على المراجع والكتب المتوفرة في الدعوة والتفسير وغير ذلك. وتوصل إلى عدة نتائج، أولا: إن الدعوة في مفهومها الإصطلاحي هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة. ثانيا: الدعوة إلى الخير هي الدعوة إلى الإسلام والعمل بشرائعه طبقاً لما جاء في الكتاب والسنة. ثالثا: إن الدعوة إلى الخير من الواجبات التي أوجبها الله على كل مسلم ومسلمة على قدر طاقته واستطاعته وبالوسائل التي تتيسر له.

Abstract

This research is title Call for the good deeds. To discusse the issue of Call for the good deeds of its importance as part of "Iman" and "A^{c}mal" (feath and good deeds), and good for the person. The research aims to understand the concept of "Da^{c}wah" from the perspective of serving Islam, and understanding good deeds as viewed by the Holy Qur'an, and duties toward Call of the good deeds. The research, had adopted the liberary based method, he depended on Allah in reading the related references on Islamic Call "Da^{c}wah" and on translation the Holy Qur'an etc. The research found that; 1: Da^{c}wah in its conceptual and terminological form, is explaining Islam to people, education people about it and apply it in the daily life; 2: The Call for good deeds is the Call for Islam and the work a coding to Islamic law "Shariah" based on the Qur'an and Sunnah; 3: The call for the good deeds is our of the Muslim's duties which Allah make it obligation for every Muslim (male or female) each person will Carry Da^{c}wah acoding to his/her ability, and according to the means used in the Da^{c}wah.

* دكتوراه في العلوم الإجتماعية والحضارة الإسلامية، محاضر مرحلة الماجستير بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية، وعميد الدراسات العليا بجامعة جالا الإسلامية.

مقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن الدعوة إلى الله مقام عظيم من مقامات الإيمان والعمل الصالح، وشرف عظيم لصاحبها، فقد قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت،41: 33).

إن الدعوة طريقها غير مفروشة بالورود، بل طريقة شاقة طويلة وليست بالسهلة القصيرة، تتطلب صبرا واحتمالا وبذلا وعطاء وتضحية، دون تعجل للنتائج ودون يأس أو قنوط. وإن الدعوة وظيفة كل رسول أرسله الله إلى الناس. ونبينا ﷺ بيّن عظم أجر الدعوة إلى الهدى وعظم وزر من دعا إلى الضلالة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا".
(مسلم، **الصحيح**، كتاب العلم، رقم الحديث: 4831).

ولعظم أهمية الدعوة أمر النبي ﷺ أن يبلغ المسلم من هذا الدين ما يقدر على تبليغه مهما قلّ، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

"بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً".

(البخاري، **الصحيح**، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث: 3202).

والإسلام قد اهتم كثيرا بالدعوة، فلقد عهد إلى الأمة بأن تقوم طائفة منها بالدعوة إلى الخير، وإسداء النصيحة للأفراد والجماعات، وأن هذه المهمة ملقاة على رقاب كل من له القدرة على القيام بها. فالدعوة إلى الخير من أفضل الواجبات، وعلينا أن نقوم بهذه المهمة حتى نكون من الذين قال تعالى عنهم:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (آل عمران، 3: 110).

وفي هذه المقالة لا أطيل الكلام عن أصول الدعوة ومناهجها ووسائلها وأسلوبها ومجالها وميادينها، ولكنني سوف أركز على مفهوم الدعوة إلى الخير كما صورها القرآن، وهي تشمل: مفهوم الدعوة، وعلاقتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخير كما صوره القرآن، وأخيرا عن واجبنا نحو الدعوة إلى الخير.

مفهوم الدعوة

المعنى اللغوي للدعوة:

الدعوة تأتي في اللغة لمعان منها:

1-الدعوة من الدعاء إلى الشيء، بمعنى الحث على قصده، ومنه قوله تعالى: (وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَمِ). (يونس، 10: 25). ومثلها الدعاية، وفي الكتاب إلى هرقل: أدعوك بدعاية الإسلام، بدعوته، وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها أهل الملة الكافرة.(شلبي، د.ت، ص: 26).

2-الدعوة بمعنى النداء، تقول: دعوت فلانا أي ناديته.(الموسوعة الفقهية، 1990: 32). ودعا فلانا، صاح به وناداه.(المعجم الوسيط، د.ت: 286). ودعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه، ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته.(ابن منظور، 1994: 258). ومنه قوله تعالى: (يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ). (الإسراء، 17: 52). والداعي: من يدعو الناس إلى دينه أو مذهبه. (منجد الطلاب، 1986: 200).

3-الدعوة بمعنى الطلب من الأدنى إلى الأعلى (الموسوعة الفقهية، 1990: 32)، ومنه الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال (الزبيدي، د.ت: 136)، ويقال: دعا الله، أي رجا منه الخير، ودعا لفلان، أي طلب الخير له، ودعا على فلان، أي طلب له الشر (المعجم الوسيط، د.ت: 286).

4-الدعوة تطلق على الأذان والإقامة، وإنما قيل للأذان ذلك لأنه دعوة إلى الصلاة.(الموسوعة الفقهية، 1990: 321). ويطلق الداعي على المؤذن لأنه يدعو إلى ما يقرب من الله. (الزبيدي، د.ت: 137).

المعنى الإصطلاحي للدعوة:

كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام أو الرسالة، وعلى عملية نشره وتبليغه وبيانه للناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد. ومن المعلوم أن الدعوة بمعنى النشر والبلاغ صارت علما مستقلا له موضوعه، وخصائصه، وأهدافه وأساليبه، وهو بذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية، ويفيدها ويستفيد منها، ويشاركها في إفادة الإسلام برسم طريق منهجي يكفل له الانتشار والذيوع. ومن المعلوم كذلك أن الدعوة بمعنى الدين إذا أطلقت لا يراد منها إلا الإسلام بتعاليمه. وبذلك فإن التعريف الاصطلاحي للدعوة بمعناها الأول يغاير تعريف الدعوة بالمعنى الثاني ولهذا يحسن ذكر التعريف الاصطلاحي لكلا المعنيين. (العمار، 1998: 20–21).

أولاً: الدعوة بمعنى النشر والبلاغ.

الدعوة إلى الله: هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة. (البيانوني، 1995: 40). ومن معناها أيضاً هي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وإطاعتهم فيما أمروا به.(العمار، 1998: 21). وقيل: هي إنقاذ الناس من الضلالة، أو شر واقع بهم، وتحذيرهم من أمر يخشى في واقع الحياة. (المرجع نفسه: 16).

ثانياً: الدعوة بمعنى الدين أو الرسالة.

الدعوة إلى الله هي الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط. (توفيق الواعي، 1995: 18). وقيل: هي النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك الإنساني التي جاء بها محمد ﷺ من ربه وأمر بتبليغها إلى الناس. (العمار، 1998: 25).

مما سبق ذكره يتبين لنا أن هناك تعريفات عدة للدعوة الإسلامية، كلها تدور حول عقد واحد وهو الدعوة إلى دين الله والحث على اتباعه وتطبيق شريعته.

والدعوة إلى الله ليست صيحة مبهمة أوصرخة غامضة. إنها برنامج كامل يضم في أطواره جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم، وليكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين.. (محمد الغزالي، 1985: 17). والبهي الخولي (1979: 35) عند ما جاء بالتعريف الإصطلاحي للدعوة فقال: هي نقل أمة من محيط إلى محيط، تلك هي مهمته، وفيها يندرج مجمل منهاجه ومفصله، ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته.

ومهمة الدعوة هي مهمة الأنبياء، وذلك تغيير ما بنفوس الناس حتى يغير الله ما بهم من فساد، وكل دعوة لا تبلغ هذا الهدف، أو لاترمي إلى هذه الغاية فهو جهد ضائع، وعمل باطل. ولذلك، صرح محمد الغزالي (1985: 17) بقوله: الدعوة إلى الله حق، وكل دعوة إلى غيره باطل. ومنهجها مستقيم، وكل منهج وراءها معوج. وهي تقوم على العقل والهدى، وغيرها تقوم على الحمق والهوى. وفي قوله تعالى:

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ (الشورى، 42: 15).

نرى أن الدعوة إلى الله طريق مأنوسة، لم يفتتحها محمد ﷺ، إنما مشى فيها على أعقاب من سبقوه من إخوانه المرسلين الذين أوحى لهم الله:

﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ (الشورى، 42: 13).

وأن معالم هذه الدعوة لاترسمها اجتهادات الأنبياء ولا تنبع من فلسفات فكرية خاصة، بل هي توقيف من الله وتمشي مع أمره، وأن البعد عنها هو ميل إلى الشهوات واتباع الضلالات. وفي قوله تعالى:

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ (يوسف، 12: 108).

ترى أن الدعوة ليس فيها ما يخفى، وأنها لا تضم جوانب تحجب عن البعض وتباح للبعض الآخر.

وهكذا يتكرر الأمر بالدعوة في سائر الآيات. وعندما نتأمل في الآيات التي أمرت بالدعوة إلى الله، نجدها أبرزت الخصائص التي تقترن بطبيعة الدعوة، وتناولت الأحوال التي تلابسها من قبل خصومها، وواضعي العقبات أمامها.

وقبل ختام الحديث عن مفهوم الدعوة في الإصطلاح الإسلامي لا بد أن أقف مع الدكتور رؤوف شلبي (د.ت: 36-37)، إذ عرف الدعوة بالرجوع إلى تاريخ الوجود الإسلامي، وذلك مقسم إلى جانبين، هما:

أولاً: جانب الدعوة في مبادئ النظام الإلهي، الذي بعث به سيدنا محمد ﷺ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، بإذن الله.

وأساس هذا الجانب في التصور هو: القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

وملخص هذا الجانب: إحياء الإسلام، وبعثه من أصوله الثقافة النظرية إلى سلوك عملي أخلاقي: في الحركة والعمل والتعايش الإنساني.

ومهمة هذا الجانب: عرض الدعوة كفكرة، وتطبيقها كسلوك. وتحتاج هذه المهمة، إلى منهاج يستخدم في العرض. وتحتاج كذلك، إلى غاية تكون مقياسا صحيحا لمجال التطبيق ومداه... كما تحتاج إلى داعية يتشرف بالاضطلاع بأعباء العمل في سبيل الله.

ثانياً: جانب الدعوة في لقائها مع الخصوم:

(أ) خصوم التاريخيين: الذين التقوا بها في حروب الصليب وكان من نتائجها: 1-الاستعمار الثقافي. 2-التبشير المسيحي. 3-الاستشراق. 4-الاستعمار العسكري.

(ب) خصوم الفكريين: الذين يجابهون الدعوة الإسلامية بمناهج ومبادئ عقدية ضالة مثل: 1-الشيوعية وأسرتها. 2-الوجودية وأخواتها. 3-المبادئ الوضعية بتمامها: القاديانية، البهائية، البابية النصيرية...إلخ.

والهدف من هذين الجانبين، هو: تنفيذ الرسالة الإسلامية، وبعث الوجود الإسلامي، لتعود دولة الإسلام إلى سيرتها الأولى: تخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربها مرة أخرى... تخرجهم من الحيرة إلى الطمأنينة، ومن الجهل إلى العلم، ومن الظلم- في صورة العدل- إلى العدل في صورة الإحسان، ومن الضعف إلى القوة، ومن الذلة إلى العزة، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن عبادة الانسان إلى عبادة الرحمن.

بهذا التعريف حاول الدكتور روؤف شلبي أن يضع مفهوما لاصطلاح الدعوة الإسلامية بأنها حركة إحياء للنظام الإلهي الذي أنزله الله عز وجل على نبيه الخاتم. وهذا النظام الإلهي، قد اتخذ له مجرى في الحياة الانسانية، فكان له تاريخ يحفظ للدعوة منهاجا، ودعاة حملوها للناس بمنهاجها الفاضل، وغايات حققت بها للبشر حياة ربانية. فأعطانا بهذه المحاولة أن عملية الدعوة هي الحركة التنفيذية للمبادئ الإسلامية القائمة على أساس من القرآن الكريم والسنة المطهرة. وهذه الحركة تتخذ لها منهاجا، وغاية، وداعية. وهذا الداعية ينبغي أن يكون ربانيا، يرتفع بالعمل فوق كل الآمال والآلام، وهذا هو دور البناء، ودور العرض والتطبيق. وبعد ما تكتمل للدعوة

مقوماتها في دولتها، تحتاج ثمارها هذه إلى صيانة ودفاع تجاه محاولات الخصوم والمجابهين، وهذا هو دور الدفاع والمناصرة.

بين الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة نبوية, وهو من المصطلحات التي عبر بها القرآن الكريم عن عمل الأنبياء وخلفائهم فقال تعالى يصف رسول الله ﷺ:

﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾

(الأعراف، 7: 157).

وقد أوصى لقمان ابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحمل لكل ما يتعرض له في سبيله، لأن هذا العمل يتطلب جهدا كبيرا، وعزيمة صادقة، ولا يصبر عليه إلا أولو العزم من الرجال، فقال تعالى على لسان لقمان خطابا لابنه:

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾

(لقمان، 31: 17).

وقال تعالى:

﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾

(آل عمران، 3: 110).

لقبت الآية الكريمة الأمة المسلمة بخير الأمة، ووصفتها بأمرين: الأول أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، والثاني: أنها تؤمن بالله عزوجل.

تبين من ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصائص المؤمنين التي لا يمكن أن تفارقهم أبداً، كلما تمثلت صورة مؤمن كانت هذه الصفة من صفاتها البارزة فلا يمكن تصور المؤمن بدونها، والوضع الذي يريد الله تعالى أن يرى المؤمنين فيه لن يوجد إلا إذا كانوا قائمين بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (العمري، 1400هـ: 21).

فما هي الصلة بين الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ ربما توهم كلمتا الأمر والنهي في "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" أنه عمل لا يتصل بالدعوة والتبليغ فحسب، وإنما هو يحتاج إلى الحكم والسلطة. ولكن هذه الشبهة قد أجاب عنها الإمام الفخر الرازي (د.ت، ج4: 167)، بأنهما ذو صلة وثيقة، حيث قال: والدعوة إلى الخير جنس تحته نوعان: أحدهما الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الأمر بالمعروف، والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر.

وزاد العمري (1400: 73-74) على الرازي قائلاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجمع بين عملين: عمل الدعوة وعمل التربية والتنظيم معاً. وقال أيضاً: ويتحتم على الأمة

الإسلامية أن تقوم بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في داخلها وخارجها. أما العمل الذي تقوم به خارجها فيسمى الدعوة والإرشاد، وأما الذي تقوم به في داخلها فيقال له التربية والتنظيم. وليس هذا فحسب، بل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل الدعوة إلى الإيمان والإسلام، ومخالفة عبادة غير الله، ومحاربة الكفر والشرك، والجهاد في سبيل الله، كما يتضمن إقامة الحدود والتعزير وتوصية الناس بالإنفاق في سبيل الله واتباع السنة وابتعاد عن البدعة.

ولكن هذا الاتجاه قد خالفه محمد حسين فضل الله، حيث قال في كتابه "**أسلوب الدعوة في القرآن**" : نحن لا ننكر أن لفظ الدعوة بمفهومه اللغوي يتسع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الأمر بالمعروف يمثل الدعوة إلى فعل الخير والسير في طريقه، أما النهي عن المنكر، فيتمثل الدعوة إلى الابتعاد عن الشر والانحراف عنه، ففي كل منهما دعوة للعمل الصالح إيجاباً وسلباً.

وأنه لا ينكر ذلك، ولكن الاصطلاح العام لهذه الكلمة ضاق عنها، فلم يعد يتسع لها، ولا سيما كلمة "الدعوة إلى الله".. فإنها لا تصلح لاستيعاب هذا المضمون، لأنها تمثل الخطوة الأولى التي ينقلها الانسان في هذا الطريق، لتكون فاصلاً بين طريق وطريق، وفارقاً بين منهج ومنهج، وحداً بين حياة وحياة.

أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيمثل الدعوة إلى متابعة الخطى التي بدأ الانسان بها الطريق، وعدم الانحراف عن سواء الطريق، ولا بد لمثل هذا من أن تكون البداية قد تحققت والطريق قد تحدد ووضحت معالمه.

ثم قال: وهنا يبدو لنا التحديد ممكناً، والفارق واضحاً. فنستطيع أن نقول: الدعوة تمثل الحركة التي يقوم بها الدعاة المسلمون خارج نطاق الحياة الإسلامية من أجل إدخال الآخرين إلى الإسلام. وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو عمل تطبيق الإسلام من قبل المسلمين داخل الحياة الإسلامية، وحمل المسلمين على السير في طريق الإسلام من غير التواء وانحراف. (فضل الله، د.ت: 17-18).

وعلى أية حال، أن الدعوة إلى الخير ذو صلة وثيقة ولا ينفصل بينها وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنهما مهمة النبوة. ولا تدع لنا مجالا للشك في أن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي المهمة العظيمة التي قام بها كل نبي والصالحون من أمته في عصرهم، والتي كلفنا نحن القيام بها في عصرنا. وأكد العلامة السيد رشيد رضا (د.ت، ج4: 32)، بقوله: قد جرت سنة الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان محفوفا بالمكاره والمخاوف.

الخير كما صوره القرآن

أما الدعوة إلى الخير فالمراد من الخير الذي كلفت الأمة الإسلامية بالدعوة إليه هو كما فسّر النبي ﷺ: روى أبو جعفر الباقر رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا الآية الكريمة: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ) فقال: الخير اتباع القرآن وسنتي". (رواه ابن مردويه، انظر، ابن كثير، 2006،ج1: 437).

فالدعوة إلى الخير تعني الدعوة إلى الكتاب والسنة، فمن قام بدعوة أخرى غير الدعوة إلى الكتاب والسنة، فهي ليست بدعوة إلى الخير، ولن يعد عمله من أعمال الدعوة إلى الخير.

فالقرآن الكريم والسنة المطهرة هما مصدران أساسيان للإسلام وشرائعه، لذلك معظم المفسرين فسّروا الخير المذكور في الآية الكريمة: (وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ)، بالإسلام. قاله مقاتل (أبو حيان، 1992، ج3: 290). وبه فسّر البغوي (د.ت، ج1: 338) والجلالين، وقال العلامة الصاوي (1977، ج1: 171) في حاشيته على الجلالين، وإنما قصره عليه لأنه رأس الأمور.

ومن الملاحظ أن الإسلام ليس المراد منه جزءاً من أجزائه أو طاعة الله في أمر معين من الأمور بل المقصود به دين الله بأجمعه، وطاعة الله تعالى في أمور الحياة كلها وإنما أمرت الأمة بالدعوة إلى هذا الدين الكامل الشامل. (العمري، 1400هـ: 9). والإسلام هو دين الله الذي أنزله على محمد ﷺ، وما أتاه من العقائد والنظريات وأصول العبادات ونظام الحياة ومبادئ السياسة والأخلاق، وهو الخير. ومقياس الخير والشر هو دين الله وحده، فكل ما في دين الله هو الخير، وكل ما دون ذلك هو الشر. (المرجع نفسه: 6). ولذلك يقول السعدي، (2000: 142) الخير هو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد عن سخطه.

إن أسمى الغايات، وأنبل المقاصد، أن يحرص الإنسان على الخير، ويسارع إليه. وبهذا تسمو إنسانيته، ويتشبه بالملائكة، ويتحلى بالشمائل النبوية. ومن ثم فإن الله سبحانه يأمر بفعل الخيرات، والمسابقة إليها، فيقول:

﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (البقرة، 2: 148).

أي أن غايات الناس مختلفة، وأهدافهم شتى، فمنهم من تتحكم فيه الشهوات البدنية، ومنهم من تتحكم فيه الشهوات النفسية، كالجاه والرئاسة، والعلو في الأرض بغير حق، وهو مايسمى عندهم بالكرامة والشرف. أما الإسلام فإنه يجعل وجهة المسلم متجهة إلى فعل الخيرات والمسابقة إليه دائماً. (سيد سابق، 2001: 115)، وقال سيد قطب: وبهذا يصرف الله المسلمين عن الانشغال بما يبثه أهل الكتاب من دسائس وفتن وتأويلات وأقاويل؛ يصرفهم إلى العمل والاستباق إلى الخيرات، مع تذكر أن مرجعهم إلى الله، وأن الله على كل شئ قدير، لا يعجزه أمر، ولا يفوته شئ. (1988، ج4: 136)

وقد أكثر الله سبحانه من الدعوة إلى الخير، وجعله أحد عناصر الفلاح والفوز فقال:

﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (الحج، 22: 77).

وأخبر أنه أوحى إلى أنبيائه ورسله فعل الخيرات فقال:

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ (الأنبياء، 21: 73).

ومدح المسارعين إليه، والحريصين عليه، فقال:

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء، 21: 90).

وجعل جزاءه الجنة، فقال:

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ﴾ (المزمل، 73: 20).

والله سبحانه يوازن بين مباهج الدنيا ومفاتنها، وبين المثل العليا والاتصاف بالمكارم، ويبين الفضائل أبقى أثرا، وأعظم ذخرا، وأجدر باهتمام الإنسان، وخيراً له في الدنيا والآخرة. (سيد سابق، 2001: 116). يقول الله سبحانه:

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ (الكهف، 18: 46).

ويقول سبحانه:

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى، 42: 36).

ويقول سبحانه:

﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ، نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ، إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ، وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ، وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ، وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَا ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ، أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ (المؤمنون، 23: 55-61).

وبعد ذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب صلوات الله عليهم، قال الله تعالى:

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ (الأنبياء، 21: 73).

وأطلقت كلمة الخيرات في الآية الكريمة على الأعمال التي أمر الله تعالى رسله وأنبياءه بالقيام بها، ومن الواضح أن أعمال الخير التي كانت توحى إليهم كان نطاقها واسعا جداً، فكانت تشمل العبادات والأخلاق والمعاملات كلها، وهي التي تسمى الدين والشريعة، ويتبين من ذلك أن كلمة الخيرات أطلقت على الشريعة الكاملة التي أنزلها الله على رسله الكرام وتكون حياتهم

نموذجاً حياً ومثلا شاخصاً لها. (العمري، 1400: 7). وقال العلامة البغوي (د.ت، ج3: 252)، فعل الخيرات هنا بمعنى العمل بالشرائع.

والخير الذي ندب الله إليه، ينتظم كل بر، ويشمل كل عمل صالح – فطاعة الله خير، وممارسة الفضائل خير، والإخلاص والنية الطيبة خير، والإحسان إلى الناس خير، وبر ذوي القربى خير، والقول الجميل خير، وكل عمل ينهض بالفرد ويرقى بالجماعة خير.

والفطرة السليمة تهتدي إلى الخير، وتشعر به، وتنجذب إليه، وقلما تحتاج إلى من يبصرها به، أو يدلها إليه، إذ الخير هو الكمال الذي تنشده وتسعد به. ومن أجل هذا تأتي الدعوة إلى الخير في كتاب الله، وفي سنة نبيه دون أن تُعَرّف ماهيته، وتضع له الحدود التي تكشف عن معالمه. (سيد سابق، 2001: 117).

وروى عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهم عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ "إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ وَلِتِلْكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مِغْلَاقًا لِلشَّرِّ وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ مِغْلَاقًا لِلْخَيْرِ".

(ابن ماجة، **سنن**، كتاب المقدمة، رقم الحديث: 234).

واجبنا نحو الدعوة إلى الخير

لقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الخير وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة منها قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران، 3: 104).

وقال تعالى:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ (النحل، 16: 125).

وهاتان آيتان تدلان على أن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية. لأن الآية الأولى توجب وجود طائفة في الأمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. والثانية تدل على أنها عمل يتعلق بالأمة كلها. فعلم من ذلك أن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان فرضا على الأمة كافة ولكن يسقط عنها إذا قام به بعض أفراده. وهذا رأي الأغلبية من المفسرين، ومنهم؛ الزمخشري (1977، ج1: 452)، السعدي (2000: 143) ابن كثير (2006، ج1: 437).

وقد فسّر الشيخ محمد عبده (السيد رشيد رضا، د.ت، ج4: 36) الآية الكريمة: "ولتكن منكم أمة..الخ." بعد تسليمه بأن "من" فيها للتبعيض وهو حجج القائلين بفرضية الدعوة إلى الخير

والأمر بالمعروف والنهي المنكر على الكفاية، ولكنها بمثابة فرض عين، فهو يقول: "بقي علينا بيان معنى الآية على القول بأن "من" للتبعيض، وتقدير الكلام ولتكن منكم طائفة متميزة تقوم بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والمخاطب بهذا جماعة المؤمنين كافة فهم المكلفون أن ينتخبوا منهم أمة تقوم بهذه الفريضة، فههنا فريضتان: إحداهما على جميع المسلمين، والثانية على الأمة التي تختاروها للدعوة. ولا يفهم معنى هذا حق الفهم إلا بفهم معنى لفظ الأمة وليس معناه الجماعة كما قيل وإلا لما اختير هذا اللفظ، والصواب أن الأمة أخص من الجماعة، فهي الجماعة المؤلفة من أفراد لهم رابطة تضمهم، ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية الشخص. والمراد بكون المؤمنين كافة مخاطبين بتكوين هذه الأمة لهذا العمل هو أن يكون لكل فرد منهم إرادة وعمل في إيجادها وإسعادها ومراقبة سيرها بحسب الاستطاعة حتى إذا رأوا منها خطأ أو انحرافاً أرجعوها إلى الصواب".

وقال الحافظ ابن كثير (2006، ج1: 437) عن هذه الآية: ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه كما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:

"مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ".

(رواه مسلم، **صحيح**، كتاب الإيمان، رقم الحديث: 70).

ويقول الشيخ ابن باز (1986: 14-15)، وقد تكون الدعوة فرض عين على كل واحد حسب طاقته، وهذا يكون عند قلة الدعاة وعند كثرة المنكرات وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم. وإذا كان في محل محدود كقرية ومدينة ونحو ذلك ووجد فيها من تولى هذا الأمر وقام به وبلغ أمر الله كفى وصار التبليغ في حق غيره سنة لأنه قد أقيمت الحجة على يد غيره ونفذ أمر الله على يد سواه. ولكن بالنسبة إلى بقية أرض الله وإلى بقية الناس يجب على العلماء حسب طاقتهم وعلى ولاة الأمر حسب طاقتهم أن يبلغوا أمر الله بكل ما يستطيعون وهذا فرض عين عليهم بالتعيين على حسب الطاقة والقدرة. بهذا يعلم أن كونها فرض عين وكونها فرض كفاية أمر نسبي يختلف. فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى أشخاص، وسنة بالنسبة إلى أشخاص وإلى أقوام لأنه وجد في محلهم وفي مكانهم من قام بأمر وكفي عنهم. أما بالنسبة إلى ولاة الأمور ومن لهم القدرة الواسعة فعليهم من الواجب أكثر، وعليهم أن يبلغوا الدعوة إلى ما استطاعوا من الأقطار حسب الامكان بالطرق الممكنة وباللغات الحية التي ينطق بها الناس. ونظرا إلى انتشار المبادئ الهدامة والداعية إلى إلحاد، وإنكار رب العباد وإنكار الرسالات وإنكار الآخرة، وانتشار الدعوة النصرانية في كثير من البلدان وغير ذلك من الدعوات المضللة في يومنا هذا، فإن الدعوة إلى

الخير أصبحت فرضاً عاماً وواجباً عاماً على جميع العلماء وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام.

وفي وقتنا اليوم أشد الحاجة بل الضرورة الماسة إلى التعاون والاشتراك والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل ذلك لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله والتشكيك في دينه ودعوة الناس إلى ما يخرجهم من دين الله عز وجل فوجب على أهل الإسلام أن يقابلوا هذا النشاط المضل والملحد بنشاط إسلامي وبدعوة إسلامية على شتى المستويات وبجميع الوسائل وبجميع الطرق الممكنة وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

خاتمة

الدعوة إلى الخير هي الدعوة إلى دين الله الذي أنزله على محمد ﷺ، وما أتاه من العقائد والتشريعات وأصول العبادات ونظام الحياة ومبادئ السياسة والأخلاق وغيرها، وهي تشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهي واجب عام، ومسؤولية الوفاء به في أعناق المسلمين جميعا. والدعوة لها عملان على خطين متوازيين؛ أولاً: إحياء الإسلام، أو البناء الإيجابي للفكر الإسلامي، والأخلاق الإسلامية، والسلوك الإسلامي بالتعليم والتربية والإعلام بمختلف وسائله المباشرة وغير المباشرة. ثانياً: صيانة ودفاع تجاه محاولات الخصوم والمجابهين، أو التصدي المضاد لكل فكر أو خلق أو سلوك أو عمل أو نظام أو قانون وضعي مناقض للإسلام في عقيدة أو عبادة أو خلق. والدعوة إلى الخير ليست مهمة الرسول ﷺ وصحابته فقط، بل هي مهمة المسلمين جميعاً. والصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم قد قاموا بذلك حسب طاقتهم ثم لما هاجروا قاموا بالدعوة أكثر وأبلغ ولما انتشروا في البلاد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام قاموا بذلك أيضاً رضي الله عنهم وأرضاهم، كل على قدر طاقته وعلى قدر علمه. وهذه المهمة يجب علينا أن نقوم بها أيضاً على قدر طاقتنا واستطاعتنا وبالوسائل التي تتيسر لنا؛ والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصدي. 1994. **لسان العرب**. بيروت: دار صادر.

ابن كثير، الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن عمر. 2006. **تفسير القرآن العظيم**. بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع.

ابو حيان، محمد بن يوسف. 1992. **البحر المحيط**. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

بن باز، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله. 1986. فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين بها. **المنهل** (مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة-المملكة العربية السعودية-جدة)، العدد 449، نوفمبر-ديسيمبر: 10-21.

البغوي، الإمام الجليل محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود. د.ت. **تفسير البغوي المسمى معالم التنـــزيل**. باكستان، ملتان: إدارة تاليفات اشرفية

البهي الخولي. 1979. **تذكرة الدعاء**. الكويت: مكتبة الفلاح.

البيانوني، محمد أبو الفتح. 1995. **المدخل إلى علم الدعوة**. بيروت: مؤسسة الرسالة.

توفيق الواعي (الدكتور). 1995. **الدعوة إلى الله –الرسالة – الوسيلة – الهدف**. مصر: دار اليقين.

الزبيدي، محب الدين أبي فيض السيد محمد المرتضى الحسيني. د.ت. **شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس**. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمد بن عمر. 1977. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

سيد سابق. 2001. **إسلامنا**. القاهرة: دار الفتح للإعلام العربي.

السيد رشيد رضا. د.ت. **تفسير المنار**. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

السعدي، العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر. 2000. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة للنشر والتوزيع.

شلبي، رؤوف (الدكتور). د.ت. **الدعوة الإسلامية في عهدها المكي**. مصر: مطبعة الفجر الجديد.

الصاوي، الشيخ أحمد المالكي. 1977. **حاشية العلامة الصاوي على الجلالين**. يروت: دار الفكر.

العمار، حمد بن ناصر بن عبدالرحمن. 1998. **أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة**. الرياض: دار شبيليا.

العمري، السيد جلال الدين. 1400هـــ. **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**. (باللغة الأردية) نقله إلى العربية، محمد أجمل أيوب الإصلاحي. الكويت: شركة الشعاع للنشر.

الغزالي، محمد. 1985. **مع الله – دراسات في الدعوة والدعاة**. الدوحة: دار الثقافة.

الفخر الرازي. د.ت. **التفسير الكبير**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

فضل الله، محمد حسين. د.ت. **أسلوب الدعوة في القرآن**. بيروت: دار الزهراء.

المعجم الوسيط. د.ت. تحقيق: إبراهيم مصطفى؛ أحمد حسن الزيات؛ حامد عبدالقادر ومحمدعلي البخاري. اسطانبول: المكتبة الإسلامية.

موسوعة الحديث الشريف. (الكتب التسعة). الإصدار الثاني (١-٢) 1998-2000. شركة حرف لتقنية المعلومات.

الموسوعة الفقهية. د.ت. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الكويت: ذات سلاسل.

سيد قطب. 1988. **في ظلال القرآن**. ج 4. بيروت-لبنان. دار الشروق.